قصر البديع هو قصر بُني في نهاية القرن السادس عشر بمراكش بالمغرب، وشيّده السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي بعد توليه الحكم بفترة وجيزة، احتفالاً بانتصاره على البرتغاليين في معركة وادي المخازن عام 1578. استمر البناء والتزيين معظم فترة حكمه، حيث زُين القصر بمواد مستوردة من عدة بلدان تتراوح من إيطاليا إلى مالي. وقد اختار أحمد المنصور الزاوية الشمالية الشرقية لهذا القصر الذي خُصص لإقامة الحفلات وتنظيم الاستقبالات الرسمية. كان القصر جزءاً من مجمع قصور السعديين الأكبر الذي يحتل منطقة القصبة في مراكش. بعد وفاة المنصور عام 1603، أُهمل القصر، وسقط في النهاية في حالة خراب بعد سقوط سلالة السعديين. وقد جُردت مواده الثمينة، خاصة الرخام، وأُعيد استخدامها في مبانٍ أخرى في جميع أنحاء المغرب. اليوم، يُعد القصر منطقة جذب سياحي رئيسي في مراكش، بالإضافة إلى كونه مساحة عرض، حيث يُعرض منبر الكتبية التاريخي. **التاريخ** **خلفية** قبل عهد السلطان السعدي عبد الله الغالب (1557–1574)، أقام حكام مراكش في القصبة القديمة (القلعة) التي بناها الموحدون في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر. وفقاً للمؤرخ الإسباني المعاصر مارمول كاربخال، كان عبد الله الغالب، أحد عمال البناء الرئيسيين في عصره، أول من شيد قصراً جديداً في المنطقة التي يقع فيها قصر البديع، على طول الحافة الشمالية لقصبة الموحدين بالقرب من مسجد المنصور الموحدي وضريح السعديين. أما قصر البديع فقد شيده السلطان أحمد المنصور الذهبي (1578–1603) في أوج قوة سلالة السعديين. من المحتمل أن تمويل بناء القصر، إلى جانب مشاريع المنصور الأخرى، جاء من الفدية الكبيرة التي دفعها البرتغاليون بعد معركة وادي المخازن عام 1578. كما ارتبطت ثروة حكم المنصور بسيطرة السعديين على تجارة السكر، حيث كان المغرب آنذاك مُصدراً مهماً للسكر نحو أوروبا، إلى جانب منتجات أخرى مثل الحرير والنحاس والجلود. في عام 1590، شن المنصور حملات عسكرية إلى الجنوب أسفرت عن غزو تمبكتو وجاو في مالي، وهزيمة إمبراطورية سونغاي في معركة تونديبي. أدت سيطرة المنصور على التجارة العابرة للصحراء الكبرى إلى زيادة وصول المغرب ليس فقط إلى الذهب، بل وإلى العبيد أيضاً، الذين اعتمدت عليهم صناعة معالجة السكر، والتي كانت ضرورية للتنافس مع تجارة السكر القادمة من البرازيل ومنطقة البحر الكاريبي (والتي كان يسيطر عليها الأوروبيون ويعتمدون أيضاً على العبيد). **البناء** بحسب محمد الصغير الإفراني، بدأ بناء القصر في ديسمبر 1578 (الموافق لشهر شوال 986 هـ)، بعد أشهر قليلة من انتصار السعديين في معركة وادي المخازن وتولي أحمد المنصور السلطة. استغرق المشروع خمسة عشر عاماً، واكتمل عام 1593 (الموافق لـ 1002 هـ). ومع ذلك، يشير المؤرخ الفرنسي غاستون ديفيردون إلى أن «المخطط البرتغالي» لعام 1585 (وثيقة مصورة تقدم معلومات مهمة عن تخطيط قصبة مراكش في ذلك الوقت) يظهر لنا قصراً مكتمل الأجزاء، بينما توجد في الوقت نفسه سجلات شراء أحمد المنصور للرخام لأغراض البناء حتى عام 1602، أي قبل عام من وفاته. يشير هذا إلى أن الإنشاءات الرئيسية للقصر قد تكون قد اكتملت بحلول أوائل ثمانينيات القرن الخامس عشر، لكن المنصور استمر في تزيين القصر حتى وفاته. كان بناء القصر مشروعاً كبيراً، حيث جلب السلطان عمالاً وحرفيين من العديد من المناطق، بما في ذلك أوروبا، للمساعدة في البناء. لدرجة أن سوقاً مزدهراً تأسس بالقرب من موقع البناء لتلبية احتياجات العمال. كان المنصور منخرطاً في ضمان استمرار العمل بكفاءة حتى أنه قدم رعاية للأطفال لعماله لضمان عدم تشتيت انتباههم عن أولويات أخرى. كما تم استيراد المواد من مناطق متعددة ودول أجنبية، بما في ذلك الأعمدة الرخامية المصنعة في إيطاليا والجير والبلاستر من تمبكتو. **الهدم** بعد سقوط السعديين وصعود سلالة العلويين، دخل القصر فترة من التدهور السريع. لا يبدو أنه تم الحفاظ عليه بعد وفاة المنصور. بينما كان السلطان العلوي الأول، الرشيد بن الشريف، قادراً على العيش فيه لفترة وجيزة (بين سنتي 1668–1669)، فبعد أقل من عشر سنوات، لم يكن خليفته إسماعيل بن الشريف مستعداً للسماح للسفراء بزيارة القصر بسبب سوء حالته. بحسب الإفراني، أمر إسماعيل بن الشريف بهدم القصر وتجريده من محتوياته ومواده وزخارفه عام 1707 أو 1708 (1119 هـ)، ثم أعيد استخدامها في بناء قصره الجديد وعاصمته في مكناس. في الواقع، من المحتمل أن يكون تفكيك القصر قد حدث بشكل تدريجي مع مرور الوقت، بداية قبل عام 1707 واستمر أيضاً بعد عهده. وقد عُثر على العناصر المعمارية من أصل سعدي، بما في ذلك على الأرجح عناصر من قصر البديع، في عدد من المباني في جميع أنحاء المغرب وحتى في الجزائر العاصمة، على سبيل المثال، ضريح مولاي إسماعيل في مكناس وزاوية مولاي إدريس الثاني في فاس. في غضون ذلك، أصبحت أنقاض القصر موقع رعي للحيوانات، وحتى ملاذاً للبوميات. **الوقت الحاضر** القصر اليوم هو معلم سياحي معروف. يحتوي المجمع على مساحة عرض حيث يُعرض منبر الكتبية الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر والذي كان قائماً في جامع الكتبية، بالإضافة إلى مساحات عرض أخرى افتتحت في عام 2018. ومنذ عدة سنوات، يقام مهرجان مراكش للفنون الشعبية داخل

Summarized by © lakhasly.com

القصر. **العمارة والتخطيط** **مجمع قصر السعديين** تشكلت قصور السعديين مجمعاً بني داخل القصبة الشاسعة (القلعة) على الجانب الجنوبي من المدينة، والتي تم وضعها في الأصل خلال فترة الموحدين تحت حكم الخليفة يعقوب المنصور. من المحتمل أن تكون بعض العناصر المختلفة لقصور السعديين قد شُيدت في عهد عبد الله الغالب، في حين أضافها أحمد المنصور وزينها. تم الدخول إلى المجمع عبر «المشور الكبير»، وهو ساحة احتفالية واسعة أو فناء، إلى الجنوب من مسجد القصبة في العصر الموحدي. كانت البوابة الرئيسية للقصر الملكي موجودة هنا وتؤدي إلى مشور أصغر يمر منه، عبارة عن ممر طويل شرقاً للسماح بالوصول إلى مختلف مكونات القصر. على الجانب الجنوبي من هذا الممر توجد معظم الملحقات الوظيفية للقصر، بما في ذلك المطابخ والمستودعات والخزينة والإسطبلات. على الجانب الشمالي من الممر كان قصر الاستقبال الواسع، بجانب الأحياء الخاصة للسلطان وأسرته، والحمامات، والمسجد الخاص، ودار سك العملة. أخيراً، خلف هذه الهياكل، التي احتلت الجانب الشرقي بالكامل من القصبة، كان هناك عدد من حدائق المتعة. قام أحمد المنصور أيضاً بترميم حدائق أكدال الشاسعة الواقعة جنوب القصبة، والتي أنشأها الموحدون في الأصل. كان مجمع القصر والقلعة بأكمله محاطاً بأسوار محصّنة، كما في العهد الموحدي، وكما لا يزال حتى اليوم. كانت إحدى السمات المثيرة للفضول داخل مجمع القصر هي البرج الطويل الذي تم تصويره بشكل بارز في أوصاف مراكش خلال فترة السعديين، ولكنه كان مفقوداً في الحقبة العلوية اللاحقة. من أصل غير مؤكد، قد يكون هذا المبنى عبارة عن برج مراقبة خاص يرجع تاريخه إلى سلالة الموحدين أو السعديين، ويشبه نقاط المراقبة المرتفعة الأصغر الموجودة في بعض القصور الأرستقراطية في مراكش وفاس. **قصر الاستقبال: البديع** كان قصر البديع نفسه قصر استقبال استضاف فيه السلطان أحمد المنصور الضيوف. كان القصر عرضاً فخماً لأفضل الصناعات اليدوية في فترة السعديين، حيث تم تشييده باستخدام بعض أغلى المواد في ذلك الوقت، بما في ذلك الذهب والعقيق، مع أعمدة مصنوعة من الرخام الإيطالي يتم تبادلها مع التجار الإيطاليين مقابل وزنها المعادل من السكر. على الرغم من أن البنية الأساسية لجدران القصر كانت مصنوعة من التراب المدكوك بمزيج من الجير، إلا أن الجدران كانت مغطاة بهذه المواد باهظة الثمن وزخارف متقنة (على الرغم من أنها اليوم مكشوفة بسبب الخراب الأخير للقصر). كانت الأرضيات مرصوفة بالرخام والزليج (فسيفساء البلاط)، وكانت الأسقف وتيجان الأعمدة مُذهّبة، والجدران مغطاة بزخارف جصية مع نقوش خطية. تُظهر شظايا الزليج التي تم الكشف عنها في الحفريات الحديثة في القصر أن الحرفيين السعديين ابتكروا أنماطاً هندسية أكثر تعقيداً من تلك التي كانت موجودة في الفترات السابقة، بما في ذلك نماذج من النجوم ذات العشرين نقطة. تميزت الحدائق والمسابح المختلفة بنوافير من المياه، تُشبه العمارة المغربية لقصر الحمراء (الذي يبدو أنه كان له تأثير ملحوظ على العمارة السعدية بشكل عام) ويتطلب بنية تحتية هيدروليكية تحت الأرض من الأقبية والقنوات. مخطط الأرضية للقصر مستطيل بشكل أساسي، تتمحور حول فناء ضخم (مقاس 135 × 110 متراً) مع حوض سباحة مركزي (مقاس 90.4 × 21.7 متراً). كان للفناء أيضاً أربع حدائق مغمورة هائلة تم التنقيب عنها وإعادة اكتشافها في العصر الحديث، والتي تم ترتيبها بشكل متماثل حول البركة المركزية، بالإضافة إلى أربعة أحواض مائية أخرى (قياسها حوالي 30 × 20 متراً) على طول الجانبين الغربي والشرقي من الفناء. كان هذا الترتيب في الأساس هو ترتيب حديقة الرياض (حديقة داخلية متناظرة في العمارة المغربية) على نطاق واسع. كان كل جانب من جوانب هذا الفناء المستطيل يحتوي على سرادق كبير بقبة كبيرة مزخرفة، حولها قباب وهياكل أخرى. يواجه أكبر جناحين أحدهما الآخر عند الطرفين الشرقي والغربي للفناء. كان يُعرف الطرف الغربي باسم القُبة الَخْمسينية، وسُمّيت بهذا الاسم لأنّ مساحة سطحها كانت تبلغ حوالي 50 ذراعاً. «القبة الخمسينية» هو عنوان قصيدة لعبد العزيز الفشتالي، الشاعر الحائز على جائزة بلاط السلطان أحمد المنصور. كان الجناح بمثابة قاعة استقبال أو قاعة عرش السلطان. توجد فجوة في الجدار الخلفي للغرفة تحدد المكان الذي اعتاد السلطان أن يجلس فيه. وفوق هذا التجويف يوجد نقش عربي محفور بالرخام الأسود وسط الرخام الأبيض الذي يغطي باقي الجدران. في منتصف القاعة كانت هناك نافورة محاطة بحوضين مائيين مغطين بزخرفة زليج دقيقة، تغذيها المياه المتدفقة من المنحوتات الفضية لحيوانات مثل الفهود والأسود والثعابين. الجناح على الجانب الشرقي من الفناء (لم يعد قائماً اليوم) كان يُعرف باسم قبة الزجاج، أو قبة الذهب، وكان مخصصا لاستخدام السلطان الخاص. عُرف الجناح الواقع في الجانب الشمالي من الفناء باسم القبة الخضراء، وكان مكونا من طابقين مع عدد من الغرف. يحتوي الملحق على الجانب الغربي من هذا الجناح، المرصوف بالزليج ويمكن للزوار الوصول إليه اليوم، على ثلاثة أحياء سكنية ربما كانت تستخدم كأماكن للضيوف وللسفراء الأجانب. عُرف الجناح الجنوبي باسم قبة الخيزران. وخلف هذا الجناح كانت توجد حمامات تم حفرها جزئياً ويمكن زيارة بقاياها اليوم. وبعيداً عن الأجنحة، تم تبطين بقية محيط الفناء بمعرض

Summarized by © lakhasly.com

يضم أقواساً منحوتة على شكل «لامبريكين» أو «مقرنص» تشبه تلك الموجودة في بهو السباع، وفي العمارة المغربية الأخرى.

الوصف وبالرغم من أن القصر يوجد حاليا في حالة خراب، إلا أن هناك عدة نصوص تاريخية وتصاميم تمكننا من التعرف على هندسته ومكوناته المعمارية وزخارفه. يشير تصميم برتغالي يعود إلى سنة 1585، إلى أن القصر كان محاطا بسور مدعم في زواياه الأربعة بأبراج وأن الولوج إليه كان يتم عبر عدة أبواب تتواجد الرئيسية منها بالجهة الجنوبية الغربية. ينتظم القصر حول ساحة مركزية كبرى تتوسطها بركة مائية كبيرة تتوفر على نافورة. وبجنباتها روضتان مغروستان بالأشجار والزهور وصهاريج مائية ذات حجم أصغر. وبوسط الضلعين الصغيرين للساحة يرتفع جناحان لم يتبق منهما إلا آثار واحد، وهما ذوا تصميم مربع وكانا مغطيين بقبة يحملهما 12 عمودا ضخما تذكرنا بتلك التي ترفع حاليا قبة القاعة الكبرى لقبور السعديين بمراكش. كانت أرضيتهما المغطاة بالزليج تتخللها برك مائية صغيرة تغذيها قواديس، مما كان يساهم في تلطيف الجو داخلهما. وعلى الجنبات الطويلة للساحة تمتد عدة أجنحة مستطيلة تنفتح بواسطة أقواس لم يتبق منها إلا أطلالها. ومن بين أهمها تذكر المصادر قاعة الذهب، وقاعة البلور وقاعة الخيزران. أما القاعة الخمسينية التي كانت تستعمل كقاعة للاستقبالات فلا زالت قائمة بالجهة الشرقية بالقرب من المدخل الرئيسي للقصر. وبسبب حالة الخراب التي يتواجد عليها قصر البديع حاليا، فلا تتوفر إلا عناصر قليلة تمكننا من التعرف على الزخارف التي كانت تغطي جدرانه وأرضيته وسقوفه. وتذكر المصادر من بين المواد التي استعملت لهذا الغرض الرخام، والجزع من شتى الألوان، والتيجان المذهبة والزليج المتعدد الألوان والسقوف الخشبية المذهبة، والجبس المنقوش والمصبوغ إضافة إلى النافورات والبرك المائية. **الأهمية** يشكل قصر البديع نموذجا حيا يمكننا من التعرف على عمارة القصور خلال القرن 16 بالمغرب. فهو يحمل عدة تأثيرات أجنبية تتجسد من خلال تصميمه الأندلسي الشكل. فالأجنحة المحورية مستوحاة من ساحة الأسود بغرناطة ونجدها أيضا في صحن مسجد القرويين بفاس، والبركة المائية المستطيلة والكبيرة الحجم نجدها بساحة الريحان. أما نظام البرك والقنوات المائية داخل القاعات فنجد مثيلا لها بقصر الحمراء بغرناطة. ويفهم من هذا أن الفن الأندلسي بغرناطة ظل يمارس تأثيره على الفن المغربي خلال هذه الفترة بفضل هجرات المورسكيين الفارين من حروب الاسترداد المسيحية. ويفيد المؤرخ الإفراني في فهم بعض مصادر التأثير الأخرى حيث يذكر أن المنصور الذهبي استقدم العمال والحرفيين من كل البلاد وحتى من أوروبا كما جلب الرخام من مدينة بيز من إيطاليا، وهي طرق وتقاليد شائعة في القرون الوسطى ببلاد الإسلام.

Summarized by © lakhasly.com